

## سورة المزمّل

هى مكية إلا قوله تعالى . « وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا .  
وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا » . وقوله : « إِنْ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ » إلى آخر  
السورة فمدنية .

وعدد آياتها عشرون نزلت بعد سورة القلم .

ووجه اتصالها بما قبلها :

(١) أنه سبحانه ختم سورة الجن بذكر الرسل عليهم السلام ، وافتتح هذه

بما يتعلق بخاتمهم عليه السلام .

(٢) أنه قال فى السورة السالفة : « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ »

وقال فى هذه : « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ

قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا

ثَقِيلًا (٥) إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ

سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) .

## شرح المفردات

المزمل : أصله المزمّل ؛ من قولهم زمّل بثيابه إذا تلفف بها ، ورتل القرآن : أى أقرأه على تؤدة وتمهل مع تبيين حروفه ، يقال ثمررتل (بسكون التاء وكسرها) : إذا كان مفجعاً لا تتصل أسنانه بعضها ببعض ، سئلنى عليك : أى سنوحى إليك ، قولاً ثقيلاً : المراد به القرآن لما فيه من التكليف الشاق على المكلفين عامة وعلى الرسول خاصة ، لأنه يتجملها بنفسه ويبلغها إلى أمته ، ناشئة الليل : هى النفس التى تنشأ من مضجعتها للعبادة : أى تنهض وترتفع ؛ من قولهم نشأت السحابة إذا ارتفعت وطأ : أى مواطأة ؛ ووافقة من قولهم واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته عليه ومنه قوله تعالى : « لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » أى ليوافقوا ، أقوم قليلاً : أى أثبت قراءة ، لحضور القلب وهدوء الأصوات ، سبحا طويلاً : أى تقلباً وتصرفاً فى مهام أمورك ، واشتغلاً بشواغلك ، فلا تستطيع أن تنفرغ للعبادة ، فعليكها فى الليل ، وأصل السبح : السير السريع فى الماء ، واذا كر اسم ربك : أى ودم على ذكره ليلاً ونهاراً ، وتبتل إليه تبتيلاً : أى انقطع عن كل شىء إلى أمر الله وطاعته ، واتخذته وكليلاً : أى وفوض كل أمر إليه .

## المعنى الجملى

قال ابن عباس : أول ما جاء جبريل النبى صلى الله عليه وسلم خافه وظن أن به مساً من الجن ، فرجع من الجبل مرتعداً وقال : زمّلونى زمّلونى ، فبينما هو كذلك إذ جاءه جبريل وناداه . « يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه » ثم أمره بتريال القرآن وقراءته بتؤدة وتأن ، ثم أخبره بأنه سيلقى عليه قرآناً فيه التكليف الشاق على المكلفين ، وأن النهوض للعبادة بالليل شديد الوطأة ولكنه أقوم لقراءة القرآن لحضور القلب ، أما قراءته فى النهار فتكون مع اشتغال

النفوس بأحوال الدنيا ، ثم أمره بذكر ربه والانقطاع إليه بالعبادة ، وتفويض  
أموره كلها إليه .

## الإيضاح

( يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا ) أى يا أيها النبي المزمل بثيابه ، المتهيئ  
للصلاة ، دم عليها الليل كله إلا قليلا .  
ثم فسر هذا القليل بقوله :

( نصفه أو انقص منه قليلا . أوزد عليه ) أى إلا قليلا وهو النصف أو انقص  
من النصف أوزد على النصف إلى الثلثين ، فهو قد خير بين الثلث والنصف والثلثين .  
وقصارى ذلك — أنه أمر أن يقوم نصف الليل أو يزيد عليه قليلا أو ينقص  
منه قليلا ، ولا حرج عليه في واحد من الثلاثة .

وبعد أن أمره بقيام الليل للصلاة أمره بترتيل القرآن فقال :

( ورتل القرآن ترتيلا ) أى اقرأه على تمهل ، فإنه أعون على فهمه وتدبره ،  
وكذلك كان صلوات الله عليه ، قالت عائشة رضی الله عنها : كان يقرأ السورة فيرتهاها  
حتى تكون أطول من أطول منها ، وجاء في الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم ،  
ولقد أوتى هذا زممارا من زممير آل داود ، يعنى أبا موسى الأشعري ، فقال  
أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحببته لك تحميرا » .

وأخرج العسكري في كتابه المواعظ عن علي كرم الله وجهه « أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : بينه تبييننا ولا تنتره نثر الدقل :  
( أردأ التمر ) ولا تهذه ( لا تسرع به ) هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به  
القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » .

وعن عبد الله بن مغفل قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح  
مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فوجع في قراءته » أخرجه الشيخان .

وعن جابر قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفيما العربي والعجمي فقال : اقرءوا وكل شئ حسن ، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح : ( السهم ) يتمجلونه ولا يتأجلونه ، لا يجاوز تراقيهم » رواه أبو داود .

قال في فتح البيان : والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والغم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من أهل مصر وغيرها في مكة المكرمة وغيرها ، بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكلون والحقى الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة ، وليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام اه .

والحكمة في الترتيل : التمكن من التأمل في حقائق الآيات ودقائقها ، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله ، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ويستنير القلب بنور الله - وبمعكس هذا فإن الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني ، والنفس تبتهج بذكر الأمور الروحية ، ومن سرّ بشئ أحب ذكره ؛ كما أن من أحب شيئاً لا يحب أن يمر عليه مسرعاً .

ثم أتى بجملة معترضة بين الأمر بالقيام وتعليله الآتي ليبين سهولة ما كلفه من القيام فقال :

( إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ) أى إنا سننزل عليك القرآن وفيه الأمور الشاقة عليك وعلى أتباعك من أوامر ونواه ، فلا تبال بهذه المشقة وأمرن عليها لما بعدها .

وقال الحسن بن الفضل : ثقيلاً أى لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد ، وقال ابن زيد : هو والله ثقیل مبارك ، كما ثقل في الدنيا يتقبل في الميزان يوم القيامة .

وقد يكون المراد - إنه ثقیل في الوحي فقد جاء في حديث البخارى ومسلم : « إن الوحي كان يأتيه صلى الله عليه وسلم أحياناً في مثل صلصلة الجرس ، وهذا أشده

عليه ، فيفصم عنه ( يفارقه ) وقد وعى ما قال . وأحياناً يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه فيعبي ما يقول ، وكان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً « يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد .

ثم علل الأمر بقيام الليل فقال :

( إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً ) أى لأن قيام الليل أشد مواطاةً وموافقة بين القلب واللسان ، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها ، وهو أفرغ للقلب من النهار ، لأنه وقت انتشار الناس وانعط الأصوات والبحث عن أمور المعاش ، ومن ثم قال :

( إن لك في النهار سبحا طويلاً ) أى إن لك في النهار تقلباً وتصرفاً في مهام أمورك واشتغالا بشواغلك ، فلا تستطيع أن تتفرغ فيه للعبادة ، فعليك بالتهجد ، فإن مناجاة الرب يعوزها الفراغ والتخلي عن العمل .  
ثم أمر رسوله بمداومة الذكر والإخلاص له فقال :

( وأذكرا اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ) أى ودم على ذكره ليلاً ونهاراً بالتسبيح والتهليل والتحميد والصلاة وقراءة القرآن ، وانقطع إليه بالعبادة ، وجرّد إليه نفسك وأعرض عما سواه .

ونحو الآية قوله : « فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ » أى فإذا فرغت من شئونك ، فانصب في طاعته وعبادته ، لتكون فارغ القلب ، خالياً من الهواجس والوساوس الدنيوية .

ثم بين السبب في الأمر بالذكر والتبتل فقال :

( رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ) أى هو المالك المتصرف في المشارق والمغرب ، لا إله إلا هو ، فعليك أن تتوكل عليه في جميع أمورك .

ونحو الآية قوله : « فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ » . وقوله : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

وجاء في كلامهم : من رضى بالله وكبلا ، وجد إلى كل خير سبيلا .  
وقد ذكروا أن مقام التوكل فوق مقام التبتل ، لما فيه من الدلالة على غاية  
الحب له تعالى وأنشدوا :

هواى له فرض تمطّف أوجفا      ومنهله عذبٌ تكدر أو صفا  
وكلت إلى المشوق أمرى كلّه      فإن شاء أحيانى وإن شاء أنلّفا

وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي  
وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِييًا (١٢)  
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ  
الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ  
كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ  
أَخْذًا وَّيَبِلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ  
شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) .

### شرح المفردات

الهجر الجليل : ما لا اعتبار معه ، والنعمة ( بفتح النون ) التنعيم ( وبكسر النون )  
الإععام ، مهلهم : أى اتركهم برفق وتأنٍ ولا تهتم بشأنهم ، والأنكال : واحدها نكل  
( بكسر النون وفتحها ) وهو الفئيد الثقيل ، قالت الخنساء :

دعاك فقطعت أنكاله      وقد كن قبلك لا تقطع

والجحيم : النار الشديدة الإيقاد ، ذا غصّة : أى لا يستساع فى الحلق فلا يدخل  
ولا يخرج ، ترجف : أى تضطرب وتترزّل ، كثيبا : أى رملا مجتمعا ، من قولهم : كشب

الشيء إذا جمعه ، مهيبلا : أى رِخواً لئنا إذا وطئته القدم زل من تحتها ، والوبيل :  
التقيل الرديء العقبي ، من قولهم : كلاً و بيل : أى وخيم لا يستمرأ لثقله ، والشيب :  
واحد من أشيب ، منفطر : أى منشق .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر معاملة العباد لبارئهم وخالقهم من العدم — أردف ذلك معاملة  
بعضهم بعضاً ، فبين أن ذلك يكون بأحد أمرين :

(١) مخالطة فصبر جميل على الإيذاء والإيحاء .

(٢) هجر جميل بالمجانبة بالقلب والهوى ، والمخالقة فى الأفعال مع المداراة  
والإغضاء وترك المكافأة .

ثم أمر رسوله أن يترك أمر المشركين إليه ، فهو الكفيل بمجازاتهم ، ثم ذكر  
أنه سيعذبهم بالأنكال والنار المستعرة ، والطعام ذى النصة فى يوم القيامة حين تكون  
الجبال كشيئا مهيبلا .

وبعد أن خوفهم عذاب يوم القيامة خوفهم أهوال الدنيا ، وأنه سيكون لهم  
فيها مثل ما كان للأمم المكذبة قبلهم كقوم فرعون حين عصوا موسى فأخذهم  
أخذ عزيز مقتدر ، ثم عاد إلى تخويفهم بالآخرة مرة أخرى ، وأبان لهم أن أهوالها  
بلغت حداً تشيب من هوله الولدان ، وأن السماء تتشقق منه .

### الإيضاح

( واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ) أى واصبر على ما يقول فيك  
وفى ربك سفهاء قومك المكذبون لك ، واهجرهم هجرا جميلا بأن تداريهم وتجانبهم  
وتغضى عن زلاتهم ولا تمناتهم .

ونحو الآية قوله : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحُورُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» وقوله: « فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا  
وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » ، وقوله: « فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ  
فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا » .

ثم تهددهم وتوعدهم ، وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شئ فقال :

( وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ) أى ودعنى والمكذبين المترفين  
أصحاب الأموال ، فإني أكفيك أسرم وأجازيهم بما هم له أهل ، وتمهل عليهم قليلا  
حتى يبلغ الكتاب أجله ، وسيذوقون العذاب الذى أعدته لهم .

ونحو الآية قوله: « مُتَّمِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرَّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ » .

والخلاصة — خلّ بينى وبينهم ، فسأجازيهم بما يستحقون .

روى أنها نزلت فى صنديد قریش ورؤساء مكة من المستهزئين ؛ وقالت عائشة  
رضى الله عنها : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر .

ثم ذكر من ألوان العذاب التى أعدها لهم أمورا أربعة :

(١) (إن لدينا أنكالا) أى إن لدينا لهؤلاء المكذبين آياتنا قيودا ثقيلة توضع  
فى أرجلهم كما يفعل بالجرمين فى الدنيا إذلالاً لهم . قال الشعبي : أترو أن الله  
جعل الأنكال فى أرجل أهل النار خشية أن يهربوا ؟ لا والله ، ولكنهم إذا أرادوا  
أن يرتفعوا استقلت بهم .

(٢) (وجعيا) أى نارا مستعرة تشوى الوجوه .

(٣) (وطعاما ذاغصة) أى طعاما لا يستساغ ، فلا هو نازل فى الحلق ، ولا هو

خارج منه ، كالزقوم والضريع كما قال تعالى : « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ،  
لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » وقال : « إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ » .

(٤) (وعذابا ألما) أى وألوانا أخرى من العذاب المؤلم الموجه الذى لا يعلم

كنهه إلا اعلام الغيوب .

والخلاصة — إن لدينا فى الآخرة ما يضاعف ثعمهم فى الدنيا، وهو النكال والجحيم والطعام الذى يعضون به والعذاب الأليم .

وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال : أرفعه ، ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال : أرفعه ، وكذلك الليلة الثالثة ، فأخبر ثابت البناتى ويزيد الضبى ويحيى البكاء ، فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق .

وبعد أن وصف العذاب ذكر زمانه فقال :

( يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ) أى ذلك العذاب فى يوم تضطرب فيه الأرض ، وتزلزل الجبال وتتفرق أجزاءها ، وتصير كالعهن المنفوش ، وكالكثيب المهيل بعد أن كانت حجارة صماء ، ثم ينسفها ربى نسفا ، فلا يبقى منها شىء .

وبعد أن خوف المكذبين أولى النعمة بأهوال القيامة خوّفهم بأهوال الدنيا وملاقته الأمم المكذبة من قبلهم فقال :

( إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذنا وبيلا ) أى إنا أرسلنا إليكم رسولا يشهد عليكم بإجابة من أجب منكم دعوتى ، وامتناع من امتنع من الإجابة يوم تلقوننى فى القيامة ، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يدعوه إلى الحق ، فعصى فرعون الرسول الذى أرسلناه إليه فأخذناه أخذنا شديدا فأهلكناه ومن معه بالغرق ، فاحذروا أن تكذبوا هذا الرسول ، فيصيبكم مثل ما أصابه .

وقصارى ذلك — كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه فأخذناه أخذنا وبيلا ، أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ، فاحذروا أن تعصوه فيصيبكم مثل ما أصابه .

وبعد أن هددهم بعذاب الدنيا أعاد الكثرة بتخويفهم بعذاب الآخرة فقال :  
( فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به كأن وعده

مفعولاً) أى كيف يحصل لكم أمان من يوم يحصل فيه هذا الفرع العظيم الذى تشيب من هوله الولدان ، وتنشقق السماء وتنفطر بسبب شدائده وأهواله إن كفرتم ، والعرب تضرب المثل فى الشدة فتقول : هذا يوم تشيب من هوله الولدان ، وهذا يوم يشيب نواصى الأطفال ، ذلك أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب كما قال المتنبي :

والهمُّ يَحْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهِرِمُ

فجعلوا الشيب كناية عن الشدة والحنة ، فاحذروا هذا اليوم فإنه كأن لا محالة كما وعد الله .

والخلاصة — كأنه قيل : هبوا أنكم لا تتواخذون فى الدنيا إخذة فرعون وأضرابه ، فكيف تقون أنفسكم أهوال القيامة وما أعد لكم من الأنكال إن دتم على ما أتم عليه من الكفر .

إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ مُّبَلَىٰ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ، وَأَخْرَمُونَ يَصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَأَخْرَمُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تَقَدَّمُوا لِيَؤْتِيَهُمْ مِنْ خَيْرٍ بِحَدِيثٍ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠) .

## شرح المفردات

تذكرة : أى موعظة ، سبيلا : أى طريقا توصله إلى الجنة ، أدنى . أى أقل ،  
والله يعدّر الليل والنهار . أى يعلم مقادير ساعاتهما ، أن لن تحصوه . أى لا يمكنكم  
الإحصاء وضبط الساعات ، فتأب عليكم . أى بالترخيص فى ذلك القيام المقدر ورفع  
التبعة عنكم ، فاقروا ما تيسر من القرآن . أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ،  
يضربون فى الأرض . أى يسافرون للتجارة ، وأقرضوا الله . أى أنفقوا  
فى سبل الخيرات .

## المعنى الجملى

بعد أن بدأ السورة بشرح أحوال السعداء وبيّن معاملتهم للعولى ثم معاملتهم  
للخلق ، ثم هدد الأشقياء بأنواع من العذاب فى الآخرة ، ثم توعدهم بمذاب الدنيا ،  
وبعدئذ وصف شدة يوم القيامة — ختم السورة بتذكيرات مشتملة على أنواع الهداية  
والإرشاد ؛ فمن شاء أن يسلك سبيل ربه بالطاعة والبعد عن العصية فليفعل ، ثم  
أخبره بما يقوم به هو والؤمنون للعبادة من ساعات الليل : ثلثيه أو نصفه أو ثلثه ،  
ثم خفف ذلك عنهم للأعداء التى تحيط بهم من مرض أو سفر للتجارة ونحوها أو جهاد  
للعدوّ ، فليصلوا قدر ما يستطيعون ، وليؤتوا زكاة أموالهم ، وليستغفروا الله فى جميع  
أحوالهم ، فهو الغفور الرحيم .

## الإيضاح

(إن هذه تذكرة) أى إن ماتقدم من الآيات التى ذكر فيها يوم القيامة  
وأهوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر — عبرة لمن اعتبر وادّكر .  
(فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى فمن شاء اتعظ بها ، واتخذ سبيلا إلى ربه

فَأَمَّنْ بِهِ وَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَأَخْبِتَ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ هُوَ النَّهْجُ الْقَوِيمُ ، وَالطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى مَرْضَاتِهِ .

ثم رخص لأُمَّته في ترك قيام الليل كله المشقة التي تلحقهم إذا هم فعلوا ذلك . فقال :

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَةَ وَطَائِفَةَ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) أَيُ إِنَّ رَبَّكَ لَعَلِيمٌ بِأَنَّكَ تَقُومُ أَقَلَّ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَأَكْثَرَ مِنَ النِّصْفِ ، وَتَقُومُ النِّصْفَ ، وَتَقُومُ الثَّلَاثَ أَنْتَ وَطَائِفَةٌ مِنْ صَحْبِكَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ فَرَضَ عَلَيْكَ قِيَامَ اللَّيْلِ .

(والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتأب عليكم) أى ولا يعلم مقادير الليل والنهار إلا الله ، وأما أتم فلن تستطيعوا ضبط الأوقات ولا إحصاء الساعات ، فتأب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ، وعفا عنكم ورفع هذه المشقة .

قال مقاتل وغيره : لما نزلت « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » شق ذلك عليهم ، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يُصبح مخافة أن يخطئ ، فانتفخت أقدامهم ، وامتنعت ألبانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِبَ عَلَيْكُمْ » .

والخلاصة — الله يعلم أنكم لن تحصوا ساعات الليل إحصاء تاماً : فإذا زدتم على المفروض ثقل ذلك عليكم وكلفتم ما ليس بفرض ، وإن نقصتم شق هذا عليكم ، فتأب عليكم ورجع بكم من تثقيل إلى تخفيف ، ومن عسر إلى يسر ، وطلب إليكم أن تصلوا ما تيسر بالليل كما أشار إلى ذلك بقوله :

(فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل . قال الحسن . هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء . وقال السدي . ما تيسر منه هو مائة آية . وفي بعض الآثار . من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن ، وعن قيس بن حازم قال :

«صليت خلف ابن عباس فقرأ في أول ركعة بالحمد لله رب العالمين وأول آية من البقرة ثم ركع ، فلما انصرفنا أقبل علينا فقال : إن الله يقول : « فَاَقْرَبُوا مَا نَسَسَ مِنْهُ » أخرجه الدارقطني والبيهقي في سننه .

ثم ذكر أعدارا أخرى تسوّغ هذا التخفيف فقال :

( علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله ) أى علم سبحانه أنه سيكون من هذه الأمة ذوو أعدار لا يستطيعون معها القيام بالليل كمرض وضرب في الأرض ابتغاء الرزق من فضل الله ، وغزو في سبيل الله ؛ فهؤلاء إذا لم يناموا في الليل تتوالى عليهم أسباب المشقة ويظهر عليهم آثار الجهد ، وفي هذا إيماء إلى أنه لا فرق بين الجهاد في قتال العدو والجهاد في التجارة لنفع المسلمين .

قال ابن مسعود : أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن الإسلام صابراً محتسباً ، فباعه بسعر يومه ، كان عند الله من الشهداء ، ثم قرأ قوله تعالى : « وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمر رضى الله عنه قال : ما من حال يأتيني عليه الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب إلى من أن يأتيني ، وأنا بين شعبي جبل ألتبس من فضل الله ، وتلا : « وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » .

ولما ذكر سبحانه ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام عن هذه الأمة — ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال :

( فاقربوا ما نيسر منه ) أى من القرآن ، والمراد صلوا كما تقدم .

( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأفرضوا الله قرضا حسنا ) أى وصلوا الصلاة

المفروضة وقوموها فلا تكون قلوبكم غافلة ، ولا أفعالكم خارجة عما رسمه الدين ،  
 وآتوا الزكاة الواجبة عليكم ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً بالإِنفاق في سبيل الخير للأفراد  
 والجماعات مما هو نافع لها في رقيتها المادي والاجتماعي ، وسيبقى لكم جزاء ذلك  
 عند ربكم .

ونحو الآية قوله . « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ  
 أَضْعَافًا كَثِيرَةً » .

ثم حثب في الصدقة وفعل الخيرات فقال .

( وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ) أى  
 وما تقدموا لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله ، أو فعل  
 طاعة من صلاة أو صيام أو حج أو غير ذلك ، تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً  
 مما أبقيت في دار الدنيا ، وأعظم منه عائدة لكم .

( واستغفروا الله ) أى وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها ويسترها يوم  
 الحساب والجزاء .

( إن الله غفور رحيم ) أى إن الله ستار على أهل الذنوب والتقصير ، ذورحة  
 فلا يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها .

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ما فرط منا من الزلات ، بحرمة سيد خليقته ، وسند  
 أهل صفوته . وصل ربنا على محمد وشيعته .

## ما جاء في هذه السورة من أوامر وأحكام

أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأشياء :

- (١) أن يقوم من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثيه .
- (٢) أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمثّل .
- (٣) أن يذكر ربه ليلاً ونهاراً بالتحميد والتسبيح والصلاة ، وأن يجرد نفسه عما سواه .
- (٤) أن يتخذة وكيلاً يكل إليه أموره متى فعل ما يجب عليه نحوها .
- (٥) أن يصبر على ما يقولون فيه : من أنه ساحر أو شاعر ، وفي ربه من أن له صاحبة وولداً ، وأن يهجرهم هجراً جميلاً بمجانبتهم ومداراتهم ، وأن يكل أمرهم إلى ربهم فهو الذي يكافئهم ، وسيرى عاقبة أمرهم وأمره .
- (٦) أن يخفف القيام للصلاة بالليل بعد أن شق ذلك عليهم لأعذار كثيرة والاكتفاء بما تيسر من صلاة الليل ، ففي الصلاة المفروضة غنية للأمة مع إتياء الزكاة ودوام الاستغفار .